

الدور الجديد للإمارات

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

حملت زيارة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي الأسبوع الماضي إلى العاصمة النمساوية فيينا، أسئلة كثيرة لدى المراقبين حول مغزاها وأهميتها إلى دولة عرف عنها الهدوء السياسي رغم حالة الصخب والضجة التي يعيشها العالم وجواره الأوروبي، إلى درجة تعتقد أنها دولة لا تتفاعل في ما يحدث مع الخارج سوى بالفن والثقافة لولا ذلك الخبر المقتضب والخاص بالقرار المرتقب لتصنيف الإخوان المسلمين بانهم جماعات إرهابية.

رغم أنه ليس من المهم الوصول إلى أجوبة نهائية أو حاسمة حول هدف الزيارة المفاجئة؛ بل المهم هو وضع الأسئلة المناسبة والاستفسارات المنطقية في محلها، من أجل التفكير بما تقوم به قيادة الإمارات في تحركاتها إلى مختلف دول العالم، وتبقى أهمية التساؤلات عندما تطرح في أمور بديهية، أو تلك التي يعتقد البعض أنها لا تحتاج إلى التساؤل، مثل هذه الزيارة التي لم تثر ضجة إعلامية كبيرة.

والبديهي في زيارة الشيخ محمد بن زايد إلى النمسا هو ذلك الحراك الدبلوماسي الإماراتي النشط والانفتاح على كل دول العالم، وبلا شك أن دولة مثل النمسا التي تقع وسط أوروبا ولديها تاريخها الثقافي والفني لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها. وبالتالي فإن الإمارات مستمرة في كسب أصدقاء جدد وتكوين شراكات عالمية، ما يعني أن ما يصح في الانفتاح على الدول الكبرى وصاحبه التأثير في القرارات السياسية والاقتصادية يصح كذلك مع دول أخرى لها مكانتها في مجالات إنسانية. لكن إذا أسقطنا تلك الزيارة الهادئة شكليا والعميقة في المغزى ضمن

البديهيات الدبلوماسية من منطلق أنها أمر عادي، فمن الممكن أن نعتل متعة التساؤل والاستفهام والفضول الذي هو أساس البحث العلمي في معرفة التحرك الدبلوماسي، فنلجا إلى بناء توقعات نمطية وتقليدية لكل زيارة دون التعمق وربط الأمور وفق الرؤية الكاملة لما تقوم به الإمارات على المستوى الإقليمي والدولي.

تأثير الدبلوماسية الإماراتية تجده اليوم حاضرا في الملفات المهمة في العالم بعد أن أصبحت تدوير الملفات الكبرى وتؤثر فيها وفرضت نفسها على دول فاعلة باتت ترى في الحضور الإماراتي أهمية كبرى

إن الهدف من كل هذه المقدمة النظرية الطويلة أن يجد المتابع الدقيق للتحركات الدبلوماسية الإماراتية لكثير من عقد من الزمن أن هناك دورا جديدا ترسمه القيادة السياسية في دولة الإمارات على المستوى العالمي، وهو ما يجعلها محل انتقادات ورشق إعلامي مستمر لكن دون أن تتأثر أو تهتز ثقافتها في الوصول إلى أهدافها وغاياتها خدمة للاستقرار والأمن الدوليين، سواء في محاربة تيارات الإسلام السياسي أينما وجدت، أو العمل على خلق بيئات للتعايش والتسامح الإنساني من خلال استضافة فعاليات تحقق ذلك، مثل استضافة العاصمة الإماراتية أبوظبي لحفل توقيع وثيقة الأخوة الإنسانية بين ممثلي أكبر ديانتين؛ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر والبابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية.

انطلق المشككون في قدرة الإمارات على التأثير في ملفات اعتبروها شبه محسومة لدى الغرب، مثل ما اتفقوا على تسميتها خلال (ما عرف بالربيع العربي) بقضايا الحريات والديمقراطية، مع أنها في الحقيقة لم تكن سوى "قوضى خلقة" لتدمير استقرار المجتمعات، فهؤلاء انطلقوا من الفهم التقليدي في تشكيكهم لدوات التأثير الدبلوماسي مثل: حجم الدولة جغرافيا، والكثافة السكانية، وأحيانا الإرث التاريخي، دون أن يعوا المتغيرات التي حصلت في النظام الدولي، ومنها دور القيادات السياسية في صناعة التأثير. للأسف البعض، وهم كثر، لا يزالون مقتنعين بأن دور الدولة في الإقليم أو في العالم يعتمد في تحركها صعودا ونزولا على الحظ، أو هو نتيجة رغبة الآخرين في أن تكون لهذه الدولة أو تلك دور. وفي أحيان أخرى عليك الانتظار إلى حين تأتي الظروف الدولية التي تحيط بك لترسم لك دورا، وهذا أمر غير موجود في الرؤية السياسية لدولة الإمارات، فهي تصنع دورها في العالم من خلال المساهمة والدخول في الملفات التي لها علاقة باستقرار العالم وأمنه، وهو أسلوب جديد في الدفاع عن الأمن الوطني للدول، ففي عصر العولمة فإن الإزمات لم تعرف لها حدود.

حاولت بعض الحكومات الغربية في بداية الأمر رفض وجهة النظر الإماراتية تجاه قناعاتها في قضايا تهدد الاستقرار الدولي، والسبب حالة التشويش الإعلامي التي تقف وراءها بعض الحكومات وبعض المنظمات المؤنجة، التي تجد أن فشل الدور الإماراتي في القضاء على ما يثير الفوضى ودمار المجتمعات الإنسانية مصلح لها. إلا أن إيمان أبناء الإمارات ومعهم أبناء المنطقة ظل قويا بصحة ما تقوم به قياداتهم برفضهم أي محاولة انقاص أو تشويش، إلى أن بات العالم اليوم يبحث عن الراي الإماراتي في

القضايا الدولية في محاولة الاستفادة من تجربتها. نحن الآن في مرحلة تمارس فيها الدبلوماسية الإماراتية دور التوجيه أو على الأقل دور مشاركة الدول الكبرى في صنع توجه سياسي عام في العالم يراعي فيها خدمة الإنسان والإنسانية دون البحث عن أي زعامة شكلية. كما أن الإمارات اليوم، باتت حالة دراسية عن كيفية صناعة المستقبل، وحالة دراسية أيضا لفهم أدوات التأثير في القرارات الدولية.

لقد اعتاد الناس على أن الدور السياسي للدول حالة طبيعية تفرضها مقومات معينة ودونها لا يمكن للدول أن يتحقق لها دور، بل إن البعض في لحظة صعود الدور الإماراتي الواقعي كانوا يضحون دورهم وبصورة تبدو بشعة للتقليل من دور الإمارات، لكن الإمارات وفي كل مرة كانت تفاجئ من يحاول فرض العزلة عليها بطرق وأساليب غير متوقعة من خلال المناورات السياسية

وتشبيك العلاقات مع دول العالم بعضها لم يكن متوقعا، مثل توقيع اتفاقية السلام الإبراهيمي مع إسرائيل. اليوم تأثر الدبلوماسية الإماراتية تجده في الملفات المهمة في العالم العربي، وفي قارة آسيا، وأميركا اللاتينية وفي الغرب كله ولم تعد تنتشغل بصغائر المشكلات وتفاصيل البعض. فاليوم أصبحت تدوير الملفات الكبرى وتؤثر فيها بعد أن أسست أرضية وقواعد لانطلاقها الجديدة، وفرضت نفسها على الدول الكبرى التي باتت ترى في الحضور الإماراتي أهمية كبرى وإن غيابها أمر غير مبرر وغير مقبول.

قبل عقد من الزمن حاولت بعض الدول، ومنها الإدارة الأميركية في عهد الرئيس باراك أوباما، وبعض الحكومات الغربية إيقاف النشاط الدبلوماسي الإماراتي في مواجهة المخبرين في العالم العربي في مصر وتونس وليبيا واليمن وغيرها من الدول. اليوم وبعد



أن أدركت تلك الدول خطأ محاولات قادتها فإنهم يعملون لتنشيط الدور الإماراتي الدولي ويحاولون الاستفادة من رؤية الإمارات لتحقيق مصالحهم وحماية أمنهم. هذا الوعي الدولي الجديد للدور الإماراتي في القضايا العالمية هو الذي يدفع بحكومات دول في إقليمنا وفي العالم مثل النمسا إلى طلب زيارة إلى دولة الإمارات أو دعوة قادتها لزيارتها من أجل الاستئناس بتجربتهم التنموية بعد كل تلك الانتقادات. ونكاد نجزم أنه مع قادم الأيام سوف تزداد الدبلوماسية الإماراتية نشاطا أكبر حول ملفات معينة في العالم.

لهذا، لا يجب عند تقييم تحرك دبلوماسي أو موقف سياسي لدولة الإمارات، الاكتفاء بالحدث الوعني الظاهر (مع أنه تقييم صحيح) دون التركيز على مجمل الأمور والنظر إلى ما تقوم به القيادة السياسية من نشاط دبلوماسي بمنظور واسع.

جلجامش لا يشارك الكاظمي الاحتفال

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

جلست أمام رئيس الهيئة العامة للآثار والتراث في العراق الدكتور مؤيد سعيد الدامرجي عام 1992، علني أخصل على إجابة عن السؤال الأخرى طلبا حينها في الصحافة الدولية، عما نهب ودمر من الآثار فيما البلاد تتلمس جروحها العميقة.

كنت أستخدم "لغتي الصحافية" وأشير بطريقة أو بأخرى، إلى وجود "متنفذين" مقربين من جهات عليا يساهمون في تهريب الآثار بعد الانتهاء الذي عاشته مدن العراق.

تأمل الدكتور سعيد سؤالي، بذكاء العارف، وقال دعني أروي لك ما حصل في يوم ما قبل سنوات. وقع العراق في سبعينات القرن الماضي معاهدات تعاون اقتصادية وسياسية مع دولة أوروبية، توجت تلك الاتفاقيات بزيارة رئيس تلك الدولة إلى البلاد للاحتفاء به، وكان يتطلب تقديم هدية رمزية له، خصوصا أن ذلك الرئيس كان ممن درسوا الآثار وحاصل على شهادة عليا في التاريخ، فكتبت رئاسة الجمهورية آنذاك إلى مديرية الآثار تقترح تقديم قطع أثرية له كتعبير عن تقدير رئيس

الجمهورية أحمد حسن البكر بالضيف الأوروبي. غير أن الرفض كان حاسما وقتها من قبل مديرية الآثار باستحالة تقديم أي قطعة أثرية.

واصل الدكتور سعيد استنكاره التاريخي في الإجابة على سؤالي المعاصر عن تهريب الآثار العراقية بعد حرب الخليج الثانية، مؤكدا أن رئيس الجمهورية تدخل آنذاك طالبا تقديم أي هدية أثرية ممكنة للضيف كنوع من التقدير من قبل العراق. فصار الاتفاق بعدها أن تقدم له "طابوقة"، وهي نوع من الأجر الحجري الآشوري تشيد به المباني، ووقع الخيار عليها لأن مديرية الآثار تمتلك من مثل تلك القطعة عشرات الآلاف.

كان الدكتور مؤيد سعيد قد فُند بطريقة ما، ما كان يدفعني له الشغف الصحافي للحصول عليه! توجهت بعدها إلى الآثار الراجل بهنام أبو الصوف للالتقي في نادي العلوية وأعيد عليه نفس سؤالي السابق، لكنني في النهاية لم استطع إكمال قصتي الصحافية..

ما كان الأكثر طلبا في الصحافة عام 1992 عن تهريب الآثار العراقية، تحول إلى حقيقة سائدة بعد احتلال العراق عام 2003 عندما لم يكتف بنهب المواقع الأثرية العراقية من قبل بعض الجنود

الأميركيين، بل امتد النهب إلى المتحف العراقي من قبل المصوص. لذلك تكر كثيرا سؤال لماذا حمت القوات الأميركية وزارة النفط العراقية وتجاهلت مبنى المتحف العراقي، إلى درجة ما عاد مجيدا إعادة إطلاعه فيما العراق برمته يعيش الفضيحة التاريخية.

حُمل بعدها عالم الآثار الدامرجي قوات الاحتلال مسؤولية ما جرى للآثار العراقية، مشيرا إلى أن الأمر لا يقتصر على تسهيل عملية اقتحام المتحف العراقي وسرقة خزائنه وتحفه النادرة أمام أعين القوات الأميركية، بل إن الأمر أكبر من ذلك عندما حُولت تلك القوات بابل، أكبر وأقدم مدينة أثرية في العالم، إلى معسكر ومقر لدبابتها وطائراتها التي دمرت شوارع وجدران هذه المدينة التاريخية بقصد محو ذاكرة العراق.

كان من المناسب استعادة ذلك، مع احتفاء رئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي باستعادة الآلاف من القطع المنهوبة بعد زيارته إلى الولايات المتحدة، فيما الصحافة الغربية تعيد منذ أيام قصة قرار المحكمة الأميركية، بإعادة القطعة الأثرية النادرة، المعروفة باسم "رقم حلم جلجامش" إلى السلطات العراقية بعد أن دخلت إلى الولايات المتحدة بطريقة غير قانونية.

قيمة القصة المتداولة منذ أكثر من أسبوع أن الرقم الأثري الذي بيع بـ 1.6 مليون دولار يقدر عمره بـ 3500 عام، ومدون فيه نص من ملحمة جلجامش، أحد أقدم الأعمال الأدبية في العالم. صرح وزير الثقافة العراقي حسن ناظم بأن اللوح ينتظر بعض الإجراءات السهلة كي يعاد إلى موطنه الأصلي.

عملية تهريب الآثار لا تكتفي بلصوصية البحث عن الأموال بل متعلقة بهدف سياسي شرير لمحو هوية العراقيين وذاكرتهم الجماعية وتقديمتهم منقسم على نفسه يعلي من شأن الطوائف والقوميات

من حق حكومة الكاظمي أن تحتفل بما أسمته إنجازا، وهو في حقيقة الأمر صحيح بحدود معينة، لكن مقابل ذلك تترك الحكومة أن مافيا تهريب الآثار موجودة أصلا وهي واحدة من أقوى لوبيات الفساد في العراق، كما كشفتها قبل عام الصحافي الشجاع روبرت وورث في تقرير مفصل في صحيفة نيويورك تايمز.

أو بتعبير ندى الشبوط أستاذة التاريخ والفن في جامعة شمال تكساس التي عدت احتفال العراق مجرد "انتصار صغير"! وكتبت الشبوط في صحيفة واشنطن بوست "تم نسيان الكارثة الثقافية التي بدأت في العام 2003. وبعد ما يقرب من عقدين من المشادات التي لم تجد صدق لها، من أجل العمل الدولي الجماعي لإعادة الآثار العراقية، يتم الاحتفال اليوم بانتصار صغير، لكن كما يبدو أن حجم الخسارة أكبر بكثير، والمتسبب بها لا يواجه أي عقاب، بينما يدفع الشعب العراقي الضامن". لسوء الحظ أن احتفال الكاظمي وناظم لا يحجب أن العراق منذ عام 2003 لا يزال يتعرض للنهب والسرقة مع القليل من العواقب، إن وجدت أصلا، فيما يتم التفاوض عن سرقات كبرى.

العودة إلى التاريخ طريقة مريحة بالنسبة إلى العراقيين لتغيير خساراتهم المعاصرة مؤقتا، فالكلام عن أقدم حضارة إنسانية علمت البشرية الكتابة يتأتى بشكل تلقائي عندما يتم الحديث عن انهيار الدولة وسقوطها في قبضة الميليشيات. ولأن العراق بلد مخولف اليوم يصبح الاستناد بالتاريخ كجائزة ترضية لمن يعيش في أسر الخاطف.

مع ذلك يحتاج العراقيون إلى فهم وإعادة تقييم تراثهم وهويتهم. فمن شأن الوصول إلى الماضي أن يزود العراقيين بأدوات حاسمة لمعرفة من هم وإلى أين يريدون الذهاب في المستقبل؟ عملية تهريب الآثار لا تكتفي بلصوصية البحث عن الأموال، بل متعلقة بهدف سياسي شرير لمحو هوية العراقيين وذاكرتهم الجماعية وتقديمتهم مجرد شعب منقسم على نفسه يعلي من شأن الطوائف والقوميات ويحطم ثروته الأثرية، أكثر من كونه ساهم في بناء الحضارة الإنسانية.

عندما تعرف أن لا أحد من الجيل المولود بعد عام 2003 من العراقيين قد سبق له أن زار المتحف العراقي، ندرك ما معنى ألا يتسوق العراقي مع عراقتهم. أتذكر زيارتي الأخيرة إلى المتحف العراقي، كانت أثناء أسبوع فنية للموسيقار نصير شمة وهو يصنع من التاريخ قطعة فنية بين الأعمدة الرخامية والتخيران المنحثة، وبعد تلك الزيارة

بأكثر من عشرين عاما وقفت أمام الثور الآشوري المنح في المتحف البريطاني، بمشاعر غامضة وتامل صامت عصي عن التفسير. لكنني وجدت عراقيتي بطريقة أعمق مما أعرف عن نفسي؛ وبعدها بسنوات عندما وقفت أمام مسلة حمورابي في متحف اللوفر، كنت أسأل نفسي عما إذا كان جدنا البابلي العادل سعيدا بوجوده في باريس. كان يتبادر إلى ذهني مقابل ذلك سؤال "ماذا لو بقيت المسلة هناك واستولت عليها للصوص".

في المقابل لا يبدو لي أن جلجامش سيمنح مصطفى الكاظمي وحسن ناظم تهنتته الكاملة وإن استعيد اللوح الأثري خلال الأسابيع المقبلة، فيما كف الملك السومري تشير إلى مافيا لصوص الآثار المطمئنة على تجارتها بحماية الميليشيات.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهونيرئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهونيمدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقيمدير النشر
علي قاسمالمدير الفني
سعيدة العيقوبيتصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.ukwww.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk